Dhikrā Muḥammad Farīd

ذكري محمد فريد

المحاضرة

التى ألقاها الاستاذ مصطفى الشوربجي بدار جريدة اللواء المصرى بشارع الدواوين يوم الجمعة ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٠ الموافق ١٨ نوفمبر سنة ١٩٢١ وقد أقرتها اللجنة الادارية للحزب الوطنى بجلستها المنعقدة صباح اليوم المذكور

« إننا نعرف كيف نصبر على المكاره »
« ولكننا لا نعرف التسليم لاعدائنا »
« والتنازل عن مطالبنا »
« محمد فريد »

«توزع من غير ثمن»



﴿ محمد فريد ﴾
رئيس الحزب الوطني

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة

لا أرانى فى حاجة الى أن أحدثكم عن تاريخ الرجل العظيم الذى اجتمعنا اليوم لاحياء ذكراه . كلكم يعرف محمد فريد رئيس الحزب الوطنى وكأنى وأنا بين أيديكم لا أزال أسمع صوته الرهيب الذى طالما أدخل الرعب فى قلوب الغاصبين . كأنى أسمع الآن صرير ذلكم القلم الجرئ يسطر الآيات البينات دفاعاً عن حقوق البلاد وايقاظاً لشعور أبناء الوطن وانهاضاً لهممهم . كأنى أسمع وقع خطواته وهو يجوب الاقطار شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً يحاول أن يجمع العالم كله حول مصر والمصريين .

اجل أيها السادة . ليس فى مصر كلها من يجهل سيرة الرئيس العظيم . الرئيس الحقيقى الذى ما ضن برأيه قط على أبناء وطنه . والذى ما ركن الى الغاصب يوماً ما ولا دعا الناس الى الوثوق به . ولا فرط فى تحذيرهم من مكائده . الرئيس الذى عرف كيف يحيي الشعور الوطنى وينميه ويزيده حياة وقوة ويوجهه وجهته الطبيعية . الرئيس الذي عرف حقوق وطنه من نشأته فعمل لاستردادها من يومه . ظل يجاهد فى سبيلها حتى استشهد فى ميدان الجهاد . الرئيس الذى

نستطيع أن نبسط صحائف تاريخه صحيفة صحيفة ونقرأها سطراً سطراً فما نجد الا آية تتبعها آية. الرئيس المستكمل لشرائط الرئاسة كلها .

أيها السادة . إن الزمان الذى يستطيع كل شئ لعاجز أن ينسينا فريد بك . ستمر الايام والليالى. وتخلف الاجيال أجيال . وتعقب العهود عهود وتأتى الحركات الوطنية تلو الحركات الوطنية وتنشأ الازمات القومية أثر الازمات . وتنجب البلاد الرجال والابطال ولكن سيبقى فريد المثل الاعلى للفضائل الوطنية كلها . لا فى مصر وحدها ولا فى الشرق وحده . بل فى جميع الشعوب ومختلف الاقطار

لقد أخذ العالم قديماً عن مصر دروس المدنية الصحيحة فلا غرابة اذا تلقى اليوم عليها دروس الوطنية الحقة. وعرف منها كيف يكون انكار الذات والى أى حد تبلغ التضحية فى سبيل الاوطان .

أيها السادة : نسمع كثيراً أن زيداً ضحى ! وعمروا بذل ! ماذا ضحوا !! وماذا بذلوا ! من ؟ من منهم فى سبيلها . فى سبيل مصر العزيزة جرد نفسه من ماله الطائل كله ثم رضى بشظف العيش وقد ولد فى مهد النعمة وتربى منها وشب عليها ؟ من منهم فى سبيلها فارق فراقاً أبدياً وهو على قيد الحياة ولده الوحيد وبناته وزوجه وأهله وعشيرته وأصدقاءه وأبناء وطنه ؟ من منهم فى سبيل مصر المظلومة حرم نفسه ماءها وهواءها وشمسها وعاش وحيداً فريداً ليله ونهاره لا يستقر فى مكان ؟ من منهم يستطيع ان يموت كما مات فريد ؟

أيها السادة . الا إن التضحية تضحية فريد والبذل بذل فريد . تضحية ما انتظر لها ثمناً حتى ولا العطف من بنى وطنه . بذل كان يتضاعف كلما أوغل فيه حتى أتى على قوته ثم على أنفاسه العزيزة وروحه الطاهرة . كم فى الناس من مدع أنه ضحى ويلوح لهم كأنه ضحى حتى اذا فتشت أعماله عملا عملا وجدت دعواه على غير أساس بل وجدت أنه هو الذى بذلت اليه التضحية !! وقليل منهم المتواضع الذى ينكر ذاته ولا يذكر لنفسه عملا حتى اذا فتشت سيرته

وجدتها سلسلة متواصلة الحلقات من جلائل الاعمال وعظام الامور ! ! وكم فيهم من يعمل العمل التافه الصغير فيباهى به فى كل مجلس ويبالغ فيه حتى يخرجه من دائرة الممكنات البشرية . فاذا حللت العمل وجدته لا شئ . بل وجدته يطوى بين ثناياه العار والانحدار ! ! وقليل منهم من يعمل العمل الجليل الذى لا يقوم به الا عظماء الرجال . فاذا حاولت أن تفاتحهم فيه احمرت وجوههم حياء وغيروا موضوع الكلام ! !

أيها السادة . ليس فى مواقف الخطباء ماهو أصعب من موقفهم للرثاء فان الخطيب الراثى لا يكاد يشرع فى القاء رثائه حتى تصادفه سيئات المرثى فيضطر الى بذل الجهد فى تأويلها وتحليلها أو يلتزم بالقاء الستار عليها — ثم هو اذا وجد حسنة بالغ فى تقديرها وجسمها للانظار . . . اما موقفى هذا فلا شئ فيه من الصعوبة ولله الحمد لأن فريداً لم يعرف السيئة فى حياته وما على الراثى الا أن يسرد أعماله إذا استطاع خالية من المبالغة . مجردة عن الزواق والدهان . من أجل ذلك أستطيع أيها السادة أن اتكلم كثيراً وأرثيه طويلا ولكننا فى حاجة قصوى الى الكلام فى الشئون الحاضرة . وجدير بنا الا ننساها فى يوم ذكرى فريد زميل مصطفى كامل . فهما معاً صاحبا النهضة الوطنية الحديثة التى هي بنت تعبهما وشقائهما . وكأنى برئيسنا المرثى ينادينى من تحت الجنادل والصخور « كفى كفى . لقد سئمت التحدث عن شخصى . مصر ! مصر ! ان مصر فى خطر . انها على حافة الهاوية . ان بلادى فى حاجة الى الكلام »

الزعيم السياسى

أيها السادة — ان الزعيم السياسى فى أمته كقائد الجيش فى جيشه . عليه أن يستكشف أغراض خصمه من مناوراته ويعمل لاحباطها . وعليه أن يختار الوقت المناسب للهجوم فاذا لم يفعل ذلك أو لم يستطع فعله كان غير أهل للزعامة وكان حقاً عليه أن يتخلى عنها والا عده التاريخ خائناً لنفسه . خائناً

لاعقابه خائنا لقضية بلاده. والتاريخ لا يعرف الموادة فى قضايا الشعوب والمفكرون من أبناء الوطن مدينون لوطنهم بابداء آرائهم فى ازماته السياسية. ودين الوطن على أبنائه كدين الله على عباده . التفريط فى أيهما كفر وطغيان بل إن التفريط فى أداء دين الله خسران للآخرة أما التفريط فى اداء دين الوطن فخسران للدنيا والآخرة معاً . وان الله تواب رحيم أما الوطن فليس توابا وليس رحيما

هذا هو مذهبنا أيها السادة . هذا ديننا واعتقادنا فلا تعجبوا اذا كان خمسة منكم أو سبعة أو عشرة كما يقولون لم يحجموا قط فى أى دور من أدوار القضية المصرية عن إبداء رأيهم صريحاً جلياً بغير مجاملة ولا مداجاة ولم يدخروا وسعاً فى تأييده ونشره والدعوة الى اتباعه والاخذ به بالرغم من العواصف الهائلة التى كانت تثور عليهم وتحاول أن تقتلعهم وتدحرهم

الحزب الوطنى والحالة الحاضرة

أيها السادة — رأى الحزب الوطنى فى الحالة الحاضرة أن انجلترا تهاجم مصر فما على مصر الا أن تلتزم خطة الدفاع. علينا أن نرد هجوم انجلترا ونقضى على خططها وبذلك نكون قد كسبنا المعركة وانتصرنا عليها نصراً مبيناً . ان انجلترا تطلب منكم ان توقعوا لها على صك استعبادكم فما عليكم الا أن ترفضوا التوقيع

لقد بقى الحلفاء اثناء الحرب الكبرى فى موقف الدفاع بضع سنين وما كان همهم فيها الا المحافظة على مواقفهم وأخذ العدة ليوم الهجوم واختيار ذلك اليوم . والمعارك السياسية أيها السادة كالمعارك الحربية لها مواقف دفاع ومواقف هجوم ولا فرق بين النوعين الا أن الاولى لا تحتاج لغير الرأى الناضج والفكر السديد . أما الثانية فقوامها السيف والمدفع

أيها السادة . قد تكون الهزيمة فى المعركة السياسية أبلغ أثرا وأشد تأثيراً

من الهزيمة فى المعركة الدموية. ذلك اذا نالت الهزيمة من الشرف الوطني . الشرف الوطني أيها السادة هو أول ماتحرص عليه الامم . هو أثمن تراث يتركه الاولون للآخرين . هو أقدس وديعة لدى الجيل الحاضر للجيل الآتي . هو الدماء التي تجرى في عروق الامم . هو الركن الجوهرى لوجود الامة . فاذا سقط فلا وجود لها . هو النور الذى يهدى الشعوب في أيام محنتها وشقائها . هو الحرارة التي تحيي نفوس أبناء الوطن المغلوب . هو القوة الهائلة في يد قادة الشعوب وابطالها يذللون بها الصعاب ويمهدون طرق الخلاص .

أيها السادة : إن الامة التي تفقد شرفها الوطني لا يكون ثمة أمل في نهوضها وانكم لتقضون على شرف مصر اذا وقعتم الوثيقة التي تقدمها لكم انجلترا .

أيها السادة . ان انجلترا متمكنة الان في بلادنا ولكنها كحائز العقار بغير سند وبغير صفة . وما تريد من كل مناوراتها الحالية سوى سد هذا النقص والحصول على سند الملكية فهو لازم لها . لازم لها لتغلق به باب المسألة المصرية ولتضرب به وجه الدول اذا اعترضت يوماً على وجودها في ارض الاسلام للعالم بغير استقلالها (١) وهو لازم لها لتقطع به دابر الحركات الوطنية المصرية في الحال والاستقبال

أجل ان انجلترا تخشى اعتراض الدول يوما ما فان أيطاليا والروسيا وأمريكا لم توافق على الحماية وفرنسا بدأت تشعر بخطئها والمانيا وافقت عليها كرها ضمن

(١) قال مصطفى كامل في خطابته باسكندريه سنه ١٩٠٧ « فنحن مسلوبون والانكليز هم السالبون . ونحن طلاب حق مقدس هم مغتصبوه فلا سبيل الى الاتفاق بيننا وبينهم الا باعترافهم بحقنا ورده الينا »

وقد رد فريد بك في ٢٧ يونيه سنه ١٩١٠ على المسيو لانسان رئيس تحرير جريدة السيكل الفرنسيه الذى طلب من المصريين الاتفاق مع الانجليز على منحهم المجلس النيابى بقوله « اننا لانستطيع الاخذ بهذا الرأى لاننا بهذا نعترف بشرعيه الاحتلال الانكليزى ونسلم هكذا سلاحنا الوحيد الذى نكافح به الا وهو اصرارنا على رفض التصديق على وجود الانكليز في مصر »

معاهدة تعمل ليل نهار على تقويض أركانها • وتركيا لن توافق عليها أصلا عملا بميثاقها الوطنى ومعاهداتها مع الدول الشرقية

ولا ينبغى أن يفوتكم أيها السادة أن الدول التى وافقت على الحماية انما وافقت مع تحفظ جوهرى هو لا شك قبول الامة المصرية لها حسب قواعد القانون الدولى واذا اردتم دليلا على وجود هذا التحفظ فدونكم تصريح الرئيس ولسون فى ٢٢ ابريل سنة ٩١٩ بشأن الاعتراف بالحماية اذ قال :

« ان الرئيس يعترف بالحماية البريطانية التى أعلنتها حكومة جلالة الملك على مصر فى ١٨ ديسمبر سنة ٩١٤ ومع موافقة الرئيس على هذه الحالة يجب بالضرورة أن يحفظ لنفسه حق المناقشة فى المستقبل فى تفاصيل ذلك مع ماقد ينشأ من هـذا القرار من مسألة تعـديل أية حقوق تتعلق بالولايات المتحدة »

هذه هى الترجمة العربية والنص الفرنسى أوضح بكثير

J'ai l'honneur de vous informer que j'ai reçu de mon Gouvernement l'ordre de vous faire savoir que le Président reconnaît le Protéctorat Britannique en Egypte, proclamé par le Gouvernement de sa Majesté le 18 decembre 1914.

En consentant à reconnaître cet état de choses le Président doit nécessairement faire ses réserves quant aux détails qui feront l'objet d'une discussion ultérieure, ainsi que la question de modifications que peut entraîner cette décision pour les droits des États-Unis.

فالخطاب يفيد بغير شك أن الاعتراف بالحماية انما هو اعتراف موصوف . اعتراف معلق على شرط

وان أردتم دليلا آخر على وجود هذا التحفظ فأمامكم حاجة انجلترا لاخذ تفويض من مصر بالكلام عنها مع الدول بشأن الامتيازات ولو كانت الحماية موجودة فى نظر الدول لما احتاجت انجلترا لهذا التفويض ولقامت أحكام الحماية مقامه .

وان أردتم دليلاً آخر أيها السادة فخذوه من أقوال الساسة الانجليز فكلهم

يعلنون أن عدم موافقة الامة المصرية كارثة ونكبة على السياسة الانجليزية (١)

أيها السادة . إن الدولة الغاصبة تريد سند الملكية لتغلق به باب المسألة المصرية فيتم لها الامر فى نظر الدول الاخرى . انها تريد هذا السند لشىء آخر هو أدهى من ذلك وأمر . تريده لتضرب به عنق الامة المصرية وحسبي أن أقول لكم ان موافقة مصر على المحالفة الانجليزية المنوية فيها القضاء المبرم على كل مناداة بالاستقلال . وعلى كل حزب يقوم على مبدأ الاستقلال . فبعد المحالفة تكون هذه المناداة جريمة . وكل حزب يقوم على هذا المبدأ يعتبر حزبا ثوريا . فتى تم لانجلترا هذا الامر فقد تم الخضوع وتعذر الخلاص وضاعت الحقوق الوطنية وانقطع عنا صوت الحرية وضربت علينا الذلة والفنا الخنوع والاستسلام وهيهات هيهات أن يتمكن أحد بعد ذلك من النهوض بالامة أو يستطيع وطني القيام بواجبه نحو الوطن العزيز

أيها السادة . إن أساس الخطط لانقاذ الاوطان هو تعليم الشعب حقوقه وتذكيره بواجباته وبيان الظلم الواقع عليه وغرس البغضاء والكراهة فى نفسه نحو غاصب بلاده وسالب استقلاله وتقوية هذه الروح فيه بالقاء الدروس عليه وتكرارها على سمعه . فاذا لم يتمكن القادة من اعطاء تلك الدروس بحكم عدم مشروعيتها بعد المحالفة واعتبارها مضرة بالعلاقة التى تكون بيننا وبين بريطانيا فكيف نهيئ لانفسنا سبيل الخلاص من الاسر ! ! كيف نستطيع انقاذ الوطن !

أيها السادة — لقد وضعت انجلترا مشروعا لقانون العقوبات وقد قضت عدة أشهر فى وضعه . ثم طبعته فى المطبعة الاميرية وبيع فى الاسواق فهل قرأتم هذا القانون ؟ هل تبينتم ما فيه ؟ اقرأوه وتبينوا محتوياته تنكشف

(١) جاء فى تقرير ملنر مانصه « فنصيحتنا لحكومة جلالة الملك هى أن تشرع بلا ابطاء زائد فى مفاوضة الحكومة المصرية لتنفيذ معاهدة على المبادىء التى حبذناها وعندنا إن إضاعة هذه الفرصة مصيبة عظيمة »

لكم نيات انجلترا ويظهر لكم عزمها الاكيد على قتل كل شعور وطني بعد المحالفة المنوية — اقرأوا هذا القانون تجدوه يكاد يحرم علينا الحركة والتنفس فى مصر وفى الخارج حرصاً على مزاج حليفتنا العظيمة — اقرأوه جيداً فانه أشبه شيء بقانون العقوبات فى ارلندا فى القرن الثامن عشر الذى شلت به انجلترا الحركة الارلندية نحو قرن من الزمان والذى قال فيه المستر بورك فى كتابه p. 34-35 « L Irland Contemporaine » انه منتهى الاتقان فى الرذيلة « انه استعباد مريع شائن بل هو الظلم الهائل الذى لم تخرج مثله قبل اليوم عقول بشرية مهما انطوت عليه من الوقاحة والشر . قاعدة منظمة مدبرة وآلة محكمة الصنع نادرة المثال للقضاء على حرية شعب وارهاقه واذلال الطبيعة البشرية واخضاعها »

أيها السادة . لقد كانت انجلترا صريحة وصريحة جداً فى بيان غرضها من محالفتنا بل ان السياسة لم تكن يوما ما أكثر صراحة من السياسة الانجليزية فى هذه الايام : ألم يقل لكم اللورد كرزون والمستر تشرشل بأنهما يريدان من المفاوضة والمحالفة اكتساب المركز الشرعى للاحتلال ؟

ألم يقل ذلك اللورد ملنر ؟ ألم يقل لكم سعد باشا بأن هذا اللورد صارحه بأنه انما يريد الحصول لدولته على الصفة الشرعية فى مصر التى يبحثون عنها منذ مائة سنة

ثم وهل خطاب الحكومة الانجليزيه المؤذن بتأليف الوفد الرسمى(١) غير شيئاً من هذا ؟ ألم يقل ان المراد هو تبادل الآراء لابدال الحماية بعلاقة أخرى مع الشعب المصرى وأى علاقة يمكن أن تكون بين شعب وحكومة

---

(١) قد جاء فى قرار الحكومه الانكليزية « ان حكومه جلالة لم تتوصل بعد الى قرارات نهائيه فيما يختص باقتراحات اللورد ملنر فانها ترغب فى الشروع فى تبادل الآراء فى هذه الاقتراحات مع وفد يعينه عظمه السلطان للوصول اذا أمكن الى ابدال الحمايه بعلاقه تضمن المصالح الخصوصيه التى لبريطانيا العظمى وتمكنها من تقديم الضمانات الكافيه للدول الاجنبيه ......»

أجنبية الا علاقة التبعية ؟ ألم يقل لكم ذلك الخطاب ان المراد ابدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخصوصية التى لبريطانيا وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الاجنبية

أيها السادة بأى لغة وبأى لسان يريد أنصار المفاوضة أن تخاطبهم انجلترا ليفهموا مرادها من المفاوضة والاتفاق ؟ وأى عذر لهم والشيء واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ؟ واذا كانت انجلترا ترمي بالمفاوضة والاتفاق الى جعل مركزها الفعلي شرعياً وكان أنصار المفاوضة مناريدون حقيقة أن يصلوا بالاتفاق معها الى استقلال بلادهم. فكيف يمكن التوفيق بين الفريقين وتحقيق الغرضين؟ كيف يمكن التوفيق بين غاصب يريد أن يؤيد اغتصابه ومغصوب يريد حقه ؟ كيف يمكن التوفيق بين العدل والظلم ؟ بين الحق والباطل ! ! ؟

أيها السادة يوجد أشخاص يدمنون الخمر وهم من شرها فى المرض العضال وسوء الحال — ويوجد آخرون يتزاحمون على موائد الميسر وهم يعلمون أن فيه الخراب والدمار. فما أشبه المغرمين بالمفاوضة بهؤلاء وهؤلاء . ! انهم يرون بأعينهم ما جرته المفاوضة من البلاء على البلاد· يعرفون أنها سبب قيام هذه الفتنة الاهلية بين أبناء الوطن . يعرفون أن المفاوضة هي طريق الاستعباد لا طريق الاستقلال . ومع ذلك فلا زالوا عاشقين لها هائمين بحبها يبذلون صحتهم وقوتهم (١)

---

(١) خطبة سعد باشا فى ١٣ نوفبر سنة ١٩٢١ نقلا عن ملحق العدد ٦ ٦ من جريدة المنبر الصادر يوم ١٦ نوفبر سنة ١٩٢١

«ربما توهم قوم انه يسرنا قطع المفاوضات ليعود المفاوضون بخزى الخيبة ولكنا نصرح بان قطعها لا يسرنا لان فيه ضياعا لمجهوداتنا وإلزاماً لنا باستئنافها ولا تنا نعتبر السرور بهذا القطع مسبة كبرى نريد من كل قلوبنا أن تنتهي بالاستقلال التام . ولكنه يستحيل علينا أن نصدق أن البعثة الرسمية وهي التى تعينت وسافرت فى الظروف التي مر بيانها تجادل بجد عن حقوقنا وتستطيع أن تنال من خصومنا الذين هم سادتها وأولياء نعمتها هذا الاستقلال . ولقد صرحنا بهذا الاعتقاد عقب سفر هذه البعثة ولاعتقادنا واعتقاد الامة معنا من قبل بهذه الحقيقة فان انقطاع المفاوضات لا يدهشنا ولا يترتب عليه اضطرابات بل الاضطرابات تكون عندما تتحقق الامة بعد استفراغ جميع الوسائل من اصرار الانجليز على معارضتها ومعاكسة امانيها الاستقلالية»

للوصول اليها والتشرف بالمثول بين يدى الغاصبين . ما كفاهم أنهم بمخالفة خطة المقاطعة وجهوا نظر فريق كبير من الامة الى انجلترا . ومكنوا فى نفوسهم ان الامر أمر انجلترا ان شاءت منحت وان شاءت قبضت : ما كفاهم انهم داسوا على دولية المسألة المصرية ثم دخلوا المفاوضة أو رغبوا فيها على أساس وجود الحماية ثم ابدالها بعلاقة أخرى تساويها ! ! ما كفاهم انهم وهبوا انجلترا مزاعم ليست لهـا باعترافهم أن لها حقوقاً خاصة فى مصر لا تماثل حقوق الدول الاخرى . وباعترافهم بأن لها صفة لحماية الاجانب فى بلادنا ! ! ما كفاهم انهم قبلوا بالمفاوضة مبدأ فصل السودان (١) عن مصر واقصى امالهم فيه بقاء حالته الحاضرة أو ضمان المياه لمصر كما يقولون ! ! ! لقد فرطوا كثيراً وافرطوا كثيراً فماذا دهاهم ! وما هي آمالهم وماذا يقصدون ؟ (٢)

أيها السادة : لقد خدم أوكونيل الارلندى بلاده خدما جليلة ومع ذلك فان الارلنديين يقولون عنه انه أعدى أعداء ارلندا بعد انجلترا فهل تعلمون لماذا ؟

هل تعلمون ذنبه ؟ انه دعا قومه الى احسان الظن بانجلترا . قام فيهم مناديا لمحو سوء الظن بالغاصب . سوء الظن الذى هو طبيعى فى نفس المغصوب وضرورى لحفظ كيانه . وجه نظرهم الى انجلترا بعد ان كان منصرفا عنها . من أجل ذلك دعوه أعدى أعداء وطنه بعد غاصبه . فما بال القوم فى مصر يدعوننا الى حسن الظن بانجلترا . ويوجهوننا اليها ويلقون اتكالنا عليها - خير لهم ان يعدلوا عن هذا العبث . وليحذروا حكم الغد - ثم ليذكروا دائما ان الفرق كبير بينهم وبين أوكونيل اذ هم لم يقدموا لبلادهم خدمة من خدمات أوكونيل .

---

(١) راجع بيان اعضاء الوفد الذين عرضوا المشروع فقد جاء فيه اما مسألة السودان فلم تطرح تحت البحث ولكن الوفد قد حصل على تأكيدات تضمن الطمأنينة على مياه النيل ؟ ؟ .

(٢) فقد جاء فى تقرير ملنر مانصه « ثم يلزمنا ان نعترف ان الوفد كان يميل الى التجاوز عن كثير من مطالبه لرغبته الشديدة فى الاتفاق وحسن التفاهم مع اللجنة »

خطة الحزب الوطنى

أيها السادة · يقولون ان خطة الحزب الوطنى هى خطة خيالية وان خطة المفاوضة هي العملية فما أبعد قولهم هذا عن الحق والصواب ! ! الخطة العملية هي التى تتمشى مع السنن الطبيعية . وغير العملية هى التى لا تتمشى مع هذه السنن

فهل من السنن الطبيعية أن يلجأ المغصوب حقه الى غاصبه ويركن اليه . الخطة العملية هى التى تبنى على عادات الدول الثابتة وغير العملية هى التى تجحد هذه العادات . فهل من عادات الدول أن تسلم بحقوق الامم المستضعفة وأن تتخلى عن اغتصابها بمجرد الالتماس ؟ الخطة العملية هى التى تراعى فيها السوابق والحوادث وغير العملية هى التى لا تستفيد من السوابق ولا تعتبر بالحوادث . فهل رأوا فى تاريخ انجلترا ما يحتجون به فى تبرير المفاوضة ؟ لقد فاوضوا انجلترا قبل الآن مرات عديدة وفى كل مفاوضة درس لهم وعبرة ولكن واأسفاه فما أكثر العبر وأقل الاعتبار !

أيها السادة : ان هؤلاء المؤمنين بالمفاوضة يعلمون من أمر انجلترا معنا ما يكفى لصدهم عن هذا الغرام والهيام . ما يكفى لتقدمهم الناس جميعاً فى المناداة بعدم المفاوضة . انهم يعلمون أن بعضاً من أعضاء الجمعية التشريعية ذهبوا باسم الامة الى العميد البريطانى غداة قيام الحرب وقبل اشتباك تركيا فيها وعرضوا عليه أن تقوم مصر بمساعدة انجلترا على شريطة أن تجلو جنودها عن مصر بعد الحرب فرفضت هذا العرض السخى بالرغم مما كانت فيه من البلاء وضعف الرجاء والحاجة الى الانصار والحلفاء

ولما دخلت تركيا الحرب تجدد المسعى فكان الجواب اعلان الحماية ! وقد كانت حال انجلترا وقتئذ وحال حلفائها مما يوجب مجاملة المصريين والمحافظة على شعورهم.

وفى سنة ٩١٧ حيث انجلترا وحلفاؤها فى أسوأ المواقف طلب رشدى باشا أن يتكلم فى تنظيم الحماية فرفض طلبه

وفى ١٣ نوفبر سنة ٩١٨ ذهب سعد باشا وشعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك الى دار الحماية وعرضوا على العميد عقد محالفة مصرية انكليزية لا تختلف كثيراً عن مشروع ملنر الذى تعرفونه (١) فرفضت انكلترا وانكم لتعلمون كيف انتهت مفاوضة وفدسعد باشا مع ملنر وتسمعون الآن اخبار مفاوضة عدلى باشا .

هذه يا سادة حوادث جرت كلها فى مصر وفى هـذه السنين الاخيرة . حوادث لا تترك مجالا للشك فى أن المفاوضة خطة غير عملية.خطة خطرة على مصالح البلاد .

---

(١) جاء فى تقرير ملنر ما نصه « وفى ١٣ نوفبر سنة ١٩١٨ زار زغلول باشا وزعيمان آخران من زعماء الفريق المتقدم فى الحركة الوطنية المعتمد البريطانى السامى وأعربوا له عن رغبتهم فى السفر الى لندن لعرض بيان « بالاستقلال الذاتى التام » لمصر وعرض رشدى باشا فى الوقت عينه أن يسافر هو وعدلى باشا يكن وزير المعارف الى لندن للمناقشة فى شؤون مصر وقال ان السلطان موافق على ذلك تمام الموافقة وكانت حجة هذين الوزيرين ان مؤتمر الصلح سيوافق على الحماية رسميا وعليه لا يمكن تركها هيئة وكنهها بلا تعريف وتحديد فقد كان لمصر تحت السيادة العثمانية حقوق معلومة وهما يريدان أن يعلما ماهى حقوقها على بريطانيا العظمى تحت حمايتها »

وجاء فى التقرير نفسه ما يأتى

« لكن سلوك الفئة المتطرفة الصاخبة سبيل العنف وخروجها عن دائرة الاعتدال والانصاف جعلا الحركة كلها تظهر كأنها ليست مما يقبل الصلح والاتفاق مع ان الأمر ليس كذلك فى رأينا ولا هو دائم بالضرورة فان الهيئة المستحقة الاعتبار المعروفة بالوفد الذى يرأسه سعد باشا زغلول والتى تتسلط على عقول المصريين تمام التسلط ولو فى هـذا الحين على الاقل والتى تقول أيضا بأنها تنطق بلسان الامة ومعها وثائق كثيرة مؤلفة من أعضاء أكثرهم ليسوا من الغلاة المتطرفين بل أصلهم من حزب الامة القديم الذى كان عرضة للتقدم الدستورى تدريجيا بخلاف الحزب الوطنى الذى هو حزب الثورة ومعارضة البريطانيين »

أما عدم المفاوضة فهى الخطة العملية التى تتفق تماماً مع مركزنا الدفاعى امام انكلترا

الجمعية الوطنية

أيها السادة يهوّن على الكثيرين أمر المفاوضة اعتمادهم على الجمعية الوطنية. يقولون ما دام ان مرجع الامور الى الامة ممثلة فى جمعيتها الوطنية فلا بأس من التقدم للمفاوضة. هذا رأى مردود. رأى مردود لان المفاوضة على أى شكل خطرة بذاتها. إذ ان الجمعية الوطنية التى تمثل الامة تمثيلا حقيقياً لن تكون ولن تنعقد. لن تكونْ ولن تنعقد. فستقول لكم انكلترا ان جمعيتكم التشريعية هى الجمعية الوطنية فاذا احتاجت لشىء جديد ذراً للرماد ودفعاً للاعتراض. فستضم اليها أعضاء مجالس المديريات كلهم أو بعضهم (١)

لن تكون ولن تنعقد !! واذا احتاجت اشىء أكثر طلاوة وأبهى منظراً وأبهر للعقول والافهام. فانها ستضع قانوناً لجمعية جديدة ولن تعجز انكلترا عن أن تضع فى هذا القانون النصوص الخفية التى لا يشعر بخطرها كثيرون. وان لديها سوابق المستبدين تعلم منها كيف استطاعوا بإصلاح النصوص

---

(١) جاء فى تقرير ملنر مانصه « وكان من الضرورى فى اعتبارنا كما قلنا للمصريين فى أول الامر أن المعاهدة التى نفكر فى عقدها مع مصر لا تعقد عقداً عرفيا فقط بل عرفيا وأدبيا أيضا اذا أريد أن تكون لها قيمة حقيقية فهى تكون شكلا معاهدة بين الحكومة البريطانية والحكومة المصرية ولكن عقدها بين الحكومتين فقط غير كاف لانه يمكن أن يقال دائماً بعد ذلك ان الحكومة المصرية لم تكن حرة مختارة فى عقدها بل انها كانت مكرهة على قبول كل شرط تشترطه بريطانيا العظمى وانها على كل حال حكومة اوقراطية استبدادية لا تمثل الشعب المصرى حقيقة فلذلك كان من الامور الجوهرية فى مشروعنا أن لا تنفذ المعاهدة الا اذا وافقت عليها جمعية مصرية تنوب عن الامة المصرية نيابة حقيقية فاما أن تكون الجمعية التشريعية الحالية التى أوقفت جلساتها منذ نشوب الحرب أو تكون هيئة جديدة تنتخب لتلك الغاية وذلك أفضل »

الحق أن يضيقوا دائرة الانتخاب. وأن يؤثروا فيه. ويفسدوا جوه. وأن يقصوا عنه بعض الطبقات بل وبعض الافراد. وتعلم منها كيف استطاعوا أن يقيدوا وظيفة الجمعيات نفسها ويشلوا عملها.

أيها السادة . ان الاعتماد اذن على الجمعية الوطنية الموعودة خطأ وضلال بل ان انكلترا ستعمل على أن تكسب حتى فى حالة رفض الجمعية للاتفاق . انها ستبحث عن فائدة حتى فى خلال قرار الرفض ان صدر ، ستقول لكم ان المسألة التى كانت مطروحة على الوفد الرسمى وعلى الجمعية الوطنية هى ابدال الحماية اذا أمكن بعلاقة أخرى مع الشعب المصرى تضمن مصالح بريطانيا ، وتضمن حماية الاجانب وستقول لكم ان قبول المفاوضة على هذا المبدأ واجتماع الجمعية الوطنية لهذا الغرض اقرار بوجود الحماية الى الآن وباستمرارها الى يوم استبدالها ، وستقول أيضاً ان هذا البدل الذى دخلتم المفاوضة واجتمعت جمعيتكم لتبحث فيه انما هو علاقة تساوى الحماية

أيها السادة : لقد فاوض انكلترا أفراد منا الآن وقبل الآن . وفاوضها وفد سعد باشا وفاوضها وفد عدلى باشا . وقد أساءت هذه المفاوضات الاساءة الكبرى للبلاد ولكن الاساءة القاضية قضاء مبرماً على البلاد . الانهزام التام لمصر ، النصر النهائى لانكلترا . كل هذا فى اجتماع الجمعية الوطنية للبحث فى ابدال الحماية بعلاقة أخرى للحكومة الانكليزية مع الشعب المصرى . علاقة تضمن مصالح انكلترا الخاصة وحماية حقوق الاجانب

يوم ١٣ نوفبر

أيها الساده : أريد أن أتكلم عما سماه فريق المفاوضة « عيد ١٣ نوفبر » أو عيد النهضة المصرية . ان الامم في حاجة الى الاعياد الوطنية . في حاجة حتى الى ابتداع هذه الاعياد واختراعها . فالفكرة في ذاتها فكرة محمودة ولكن واأسفاه فان هذا الفريق عند ما أراد تطبيقها أساء التطبيق وبعد عن التوفيق

لقد رأيتم أيها السادة أن سعد باشا وشعراوي باشا وعبدالعزيز بك ذهبوا غداة الهدنة الى دار الحماية . ذهبوا وعرضوا على انكلترا بواسطة معتمدها في مصر « عقد محالفة » تتعهد فيها مصر « بتقديم الجنود» من أبنائها لخدمة انكلترا « وباعطاء قناة السويس » هدية لبريطانيا العظمى وبابقاء « المستشار المالى » مع لقبه الحالى باختصاص صندوق الدين . وبأن تتنازل مصر عن صفتها الدولية فلا تلجأ في أمورها لغير حكومة انجلترا (١)

هذا هو العيد الذي يحتفلون به . هذا هو اليوم الذى أبقى وفد سعد باشا أمر ما جرى فيه مكتوماً عن الامة الى الآن ثم طلب من الامة أن تحتفل بذكراه دون أن ينشر الحديث موضوع الاحتفال !!

هذه هى الامانى التي ذهب فريقا للمفاوضة الى دار الحماية لبسطها على أعتاب العميد غداة الهدنة ، غداة اتفق المتحاربون على تطبيق مبادئ ولسون الاربعة عشر . غداة تحمس العالم كله ابتهاجاً بنصرة هذه المبادئ . غداة ظنت الشعوب المغلوبة على امرها انها أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الحرية والاستقلال

هذه هى الآمال التي قدموها . وقدموها بالنيابة عن الامة وباسمها . وادعوا انها أقصى ما تصبو اليه وتطمع فيه !! فهل هذا أيها السادة هو العمل الوطني الذي يصح تشييد ذكراه وتجديد عهده

لقد قالوا ان عظمة اليوم هى في جرأة الثلاثة الرجال ؟ ! أى جرأة أيها السادة وهذه المطالب هى أقصى ما تصبو اليه انجلترا . هى قواعد مشروع ملنر . هى التي لام ملنر حكومته في تقريره الشهير على عدم اجابتها في حينها ، هى مراد السياسة الاستعمارية البريطانية . وأى جرأة وقد كانت الحكومة الرشدية التي قبلت الحماية سنة ١٩١٤ تعضد الفرسان الثلاثة في تقدمهم الى

(١) كل هذه المنح الحاتمية والبذل من حقوق البلاد مذكور فى حديث ١٣ نوفبر المنشور بنصه فى آخر هذه المحاضره

دار الحماية وبسط هذه الاماني!؟

أيها السادة : انهم يسمون هذا اليوم عيد النهضة الوطنية

لقد زعم كرزن في مبدأ قيام حركتنا الاخيرة ونشر على الملأ ان هذه الحركة انما هي حركة فجائية على غير أساس. وانها ليس لها سند من الماضي - وقد رمى بهذا الزعم ونشره الى تصغير شأن الحركة والقاء الشك في صحتها فهل يصح لنا أن نساعد كرزن على زعمه ؟ وهل ارجاع نهضتنا الى يوم ١٣ نوفبر مما يكبر شأن هذه النهضة أو مما يضعف من شأنها ؟ وهل يجوز لنا أن ننسى ماضي النهضة الوطنية وقد بدأت مصر نهضتها منذ أكثر من قرن من الزمان وظلت مطالبتها بالحرية والاستقلال متصلة الحلقات في مختلف العصور وما الحركة الحاضرة الا حلقة من هذه السلسلة

أيها السادة : ان الامم تختار ذكرياتها الوطنية من بين أيامها المعدودة ومواقفها المشهودة . ومصر لا تنقصها هذه الايام. ولا تعوزها هذه المواقف. ظهرت سلطة الامة المصرية في مواقف تاريخية كثيرة. ظهرت يوم أن اختارت « محمد علي باشا » واليا عليها وأصرت على اختياره . وتمسكت به رغم معارضة الباب العالي وتنفيذ هذا التعيين . ظهرت أيضا يوم حاربنا انجلترا في رشيد والاسكندرية وهزمنا جيوشها واضطرت الى الانسحاب من ديارنا في ١٠ رجب سنة ١٢٢٢ هجرية . ظهرت سنة ١٨٨١ افرنكية يوم ألجأنا حكومتنا الى التسليم بمطالب البلاد وانشاء المجلس النيابي . هذه كلها ايام مشهودة ومواقف عظيمة كان على الامة أن تحيي ذكرها وأن تختار أعيادها الوطنية من بينها . أما يوم ١٣ نوفبر فخير لاولئك الذين يدعون الناس الى الاحتفال به . خير لهم أن يسدلوا عليه الستار

ان الوطن فى خطر

أيها السادة : ان الوطن في خطر . هكذا أهابت فرنسا بأبنائها في سنة ١٧٩٣ فسار نداؤها مسير البرق الخاطف . ودوى بين أرجائها دوي الرعد القاصف . وما ان لبى الفرنسيون النداء . ترك كل فرنسي عمله الشخصي

وتجرد عن كل عاطفة الا عاطفة الشعور بالواجب نحو الوطن. ترك الفلاح مزرعته وعياله والعامل عمله. والتاجر تجارته . والطالب مدرسته. وبذل الغني ثروته وجاهه. والعالم علمه وحكمته . والسياسي آراءه وخبرته . تلاشت الاحقاد والسخائم. وتنوسيت الثارات والانتقامات. واندثرت الفوارق والشخصيات. فتضامت الصفوف. اتحد الجميع في طرفة عين ولم يبق أمامهم الا غرض واحد ولم يعد لهم الا شعور واحد . تفاهموا . تباحثوا . محصوا الآراء من حيث هي آراء دون نظر الى مبديها . فلما استقر رأيهم على أن يدرأوا الخطر عن فرنسا بالاموال والارواح لم يتخلف منهم أحد وهكذا أنقذوا فرنسا وأنقذوا شرفهم الوطني .

فمصر العظيمة فى خطر أيها السادة. تراث آبائكم وأجدادكم . وديعة أبنائكم وأحفادكم . أرضكم . ماؤكم . هواؤكم . شمسكم . تاريخكم. أموالكم. أولادكم شرفكم — كل هذا في خطر — ومصر لا تطلب منكم اليوم لا تقاذها ماطلبته فرنسا من أبنائها . فهي لا تريد منكم دماء ولا أرواحاً ولا أن تحملوا سلاحاً وانما تطلب منكم أن لا تفاوضوا فى بيع شرفها. تطلب منكم أن لا توقعوا صك استعبادها . تطلب منكم أن لا تبيعوا مجدها وعظمتها . تطلب منكم أن تثبتوا فى مراكزكم أمام هذا الهجوم البريطاني الذى تريد به انجلترا أن تدرك غايتها وأن تحصل على تلك الصفة الشرعية التي عجزت عن نيلها فى عهد مصطفى وفريد

حديث ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨

مقابلة وفد سعد باشا زغلول للسير ونجت

في يوم الاثنين ١١ نوفمبر مساء طلب سعادة سعد زغلول باشا من الوكالة البريطانية تحديد ميعاد ليقابلهو ومن معه شعراوي باشا وعبد العزيز بك فهمي ونجت باشا فتحدد لهم يوم الاربعاء ١٣ نوفمبر الساعة ١١ افرنكي صباحاً وفي الساعة المذكورة قابلهم جنابه وابتدأ القول بما خلاصته:

ان الصلح اقترب ميعاده وان العالم سيفيق بعد غمرات الحرب التي شغلته زمناً طويلا وان مصر سينالها خير كثير وان الله مع الصابرين اذا صبروا وان للمصريين هم أقل الامم تألماً من اضرار الحرب وانهم مع ذلك استفادوا منها أموالا طائلة وان عليهم شكر دولة بريطانيا العظمى التي كانت سبباً في قلة ضررهم وكثرة فائدتهم فأجابه سعد باشا: —

« ما تكون فعلته انكلترا خيراً لمصر فان للمصريين بالبداهة يذكرونه لها مع الشكر وخرج من ذلك الى القول بأن الحرب كانت كحريقة انطفأت ولم يبق الا تنظيف أثرها وانه يظهر انه لا محل الآن لدوام الاحكام العرفية ولا لمراقبة الجرائد والمطبوعات وأن الناس ينتظرون بفروغ صبر زوال هذه المراقبة كي ينفسوا عن أنفسهم ويخففوا عن صدورهم الضيق الذي تولاهم منذ زيادة عن أربع سنوات »

فقال جنابه: — حقاً انه ميال الى ازالة المراقبة المذكورة وانه تخابر فعلا مع جناب القائد العام للجيوش البريطانية في هذا الصدد وبما أن هذه المسئلة عسكرية فانه بعد تمام المخابرة والاتفاق مع جناب القائد سيكتب للحكومة البريطانية ويتعشم الوصول لما يرضى — ثم استمر قائلا ما خلاصته:

يجب على المصريين أن يطمئنوا ويصبروا ويعلموا انه متى فرغت انكلترا من مؤتمر الصلح فانها تلتفت لمصر ومايلزمها ولن يكون الامر الا خيراً . فقال له سعد باشا : ان الهدنة قد عقدت وللمصريين لهم الحق أن يكونوا قلقين على مستقبلهم ولا مانع يمنع الآن من أن يعرفوا ما هو هذا الخير الذي تريده لهم انكلترا . فقال : يجب أن لا تتعجلوا وأن تكونوا متبصرين في سلوككم فان المصريين في الحقيقة لا ينظرون للعواقب البعيدة . فقال له سعد باشا ان هذه العبارة مبهمة المعنى ولا أفهم المراد منها فقال :

أريد أن أقول ان المصريين ليس لهم رأي عام بعيد النظر فقال سعد باشا لا أستطيع الموافقة على ذلك فانى اذا وافقت عليه أنكرت صفتي فأنا منتخب عن الجمعية التشريعية في قسمين من أقسام القاهرة وكان انتخابي بمحض ارادة الرأي العام مع معارضة الحكومة والمرحوم اللورد كتشنر في انتخابي وكذلك كان الامر بالنسبة لزميليّ علي شعراوي باشا وعبدالعزيز بك فهمي

فقال جنابه : انه قبل الحرب كثيراً ما حصل من الحركات والكتابات من محمد فريد وأمثاله من الحزب الوطني وكان ذلك بلا تعقل ولا روية فأخرت مصر ولم تنفعها ومع ذلك فما هي أغراض المصريين ؟

فقال علي شعراوي باشا : اننا نريد أن نكون أصدقاء للانكليز صداقة الحر للحر لا العبد للحر — فقال جنابه اذن أنتم تطلبون الاستقلال — فقال سعد باشا ونحن اهل له وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقي الامم المستقلة فقال ولكن الطفل اذا أعطى من الغذاء أزيد مما يلزم تخم — فقال عبدالعزيز بك فهمي: نعم نحن نطلب الاستقلال التام وقد ذكرتم جنابكم ان الحزب الوطني عمل من الحركات والكتابات ما أخر ولم يفد فأقول لجنابكم ان الحزب الوطني كان يطلب الاستقلال وكل البلد كانت تطلب الاستقلال وغاية الامر ان طريقة الاجراء التي سار عليها الحزب الوطني ربما كان فيها ما يؤخذ علينا وذلك راجع الى طبيعة الشبان في كل جهة فلأجل ازالة الاعتراض الوارد على طريقة الحزب

الوطني في تنفيذ مبدأه الاساسى الذى هومبدأ جميع الامة وهو الاستقلال التام قام جماعة من الشيوخ الذين لا يظن فيهم التطرف في الاجراءات وأسسوا حزب الامة وأنشأوا صحيفة الجريدة وكان مقصدهم هم أيضاً الاستقلال التام وطريقتهم أخف في الحدة من طريقة الحزب الوطني وذلك معروف عند الجميع والغرض منه خدمة تمس للمبدأ المشترك بطريقة تمنع الاعتراض ونحن في طلبنا الاستقلال التام لسنا مبالغين في طلبنا فان أمتنا ارقى من البلغار والصرب والجبل الاسود وغيرها ممن نالوا الاستقلال قديماً وحديثاً — فقال جنابه ولكن نسبة الاميين في مصر كبيرة لا كباقي البلاد التي ذكرتها الا الجبل الاسود والالبان على ما أظن — فقال سعد باشا ان هذه النسبة مسئلة ثانوية فيما يتعلق باستقلال الامم فان مصر لها تاريخ قديم باهر وسوابق فى الاستقلال التام ولها حدود قائمة بذاتها وسكانها من عنصر واحد ولهم لغة واحدة وهم كثيرو العدد وبلادهم غنية وبالجملة فمصر متوفرة فيها كل الشروط للاستقلال التام ومن جهة نسبة الاميين للمتعلمين فهذه مسئلة لا دخل لها في الاستقلال كما قدمت لان الذين يقودون الامم في كل البلاد أفراد قلائل فانى أعرف انكلترا وهي بلاد العظمة والحرية وعند أهلها ثقة كبرى بحكومتهم فأرباب الحكومة وهم أفراد قلائل هم الذين يقودونها وهى تتبعهم بلا مناقشة في كثير من الاحوال لشدة ثقتها بهم وتسليمها لهم ولذلك فمجلس نوابها ليس كل افراده الذين يعملون بل العامل منهم فئة قليلة فبلاد مثل مصر يكفي أن يكون فيها ألف متعلم حتي يقوموا بادارتها كما ينبغى وهى مستقلة استقلالا تاماً ونحن عندنا كثير من المتعلمين بدليل أن أولى الحل والعقد نسمع منهم في كثير من الاحيان أن التعليم زاد في البلد حتى صار فيها طائفة من المتعلمين العاطلين — وأما من جهة تشبيهنا بالطفل يتخم اذا غذي بأزيد من طاقته فاسمحوا لنا أن نقول ان حالنا ليست مما ينطبق عليه هذا التشبيه بل الواقع اننا كالمريض مهما أتيت له من نطس الاطباء استحال عليهم أن يعرفوا من انفسهم موقع دائه

بل هو نفسه الذى يحس بألم الداء فالمصرى هو وحده الذى يشعر بما ينقصه من أنواع المعارف وما يفيده في الاشغال العمومية وفي القضاء وغير ذلك فالاستقلال التام هو ضروري لرقينا — فقال جنابه أتظنون ان بلاد العرب وقد أخذت استقلالها ستعرف كيف تسير بنفسها — فقال سعد باشا ان معرفة ذلك راجع للمستقبل ومع ذلك فاذا كانت بلاد العرب وهي دون مصر بمراحل قد أخذت استقلالها فمصر أجدر بذلك — فقال جنابه قد كانت مصر عبدة لتركيا أفتكون أحط منها لو كانت عبدة لانكلترا — فقال شعراوي باشا قد أكون عبداً لرجل من الجمليين وقد أكون عبداً للسيرونجت الذي لامناسبة بين الجملي وبينه ومع ذلك فلا يسرني ذلك لان العبودية لا أرضاها على أي حال. نحن كما قدمت نريد أن نكون أصدقاء لانكلترا صداقة الاحرار لا صداقة العبيد — فقال جنابه ولكن مركز مصر حربياً وجغرافياً يجعلها عرضة لاستيلاء كل دولة قوية عليها وقد تكون غير انكلترا

فقال سعد باشا :

نحن متى ساعدتنا انكلترا على استقلالنا التام فاننا نعطيها ضمانة معقولة على عدم تمكين أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة انكلترا فنعطيها ضمانة في طريقها للهند وهو قنال السويس بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلاله عند الاقتضاء بل ونحالفها على غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود — ثم قال شعراوى باشا يبقى أمر آخر خارج عن هذا المعنى وهو حقوق أرباب الديون من الاجانب فيمكن بقاء المستشار المالى الانكليزى بحيث تكون سلطته هي سلطة صندوق الدين العمومى — فقال سعد باشا نحن نعترف الآن ان انكلترا هي أقوى

دولة فى العالم وأوسعها حرية واننا نعترف لها بالاعمال الجليلة التى باشرتها فى مصر ونطلب باسم هذه المبادئ التى نصرتها الآن أن تجعلنا أصدقاءها وحلفاءها صداقة الحر للحر واننا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك مشخصاً لهذه الدولة العظيمة وعند الاقتضاء نسافر للتكلم فى شأنها مع ولاة الامور فى انكلترا ولا نلتجيء هنا لسواك ولا فى الخارج لغير رجال الدولة الانكليزية ونطلب منك بصفتك عارفاً لمصر مطلعاً على أحوالها أن تساعدنا على الحصول على هـذه المطالب — فقال جنابه قد سمعت أقوالكم وانى أعتبر مكالمتنا فيها هى مكالمة غير رسمية بل بصفة حبية فانى لا أعلم شيئاً عن أفكار الحكومة البريطانية في هذا الصدد وعلى كل فأنا شاكر زيارتكم وأحب لكم الخير فشكرناه على حسن مقابلته وانصرفنا حيث كانت الساعة ١٢ والدقيقة ٤

***

ونحن نثبت هنا نص النشرة التي أذاعها الحزب الوطني عقب ظهور بروجرام الوفد فى ديسمبر سنة ١٩١٨ وهى التي رد عليها سعد باشا فى الخطبة التي القاها بحفلة الشاى في منزل حمد باشا الباسل فى يناير سنة ١٩١٩

وفد سعد باشا ومطالبه

الرأى فيها

قدم وفد سعد باشا الى سفراء الدول مذكرة بطلباته يقول فيها تطلب مصر استقلالها التام :

(١) لان الاستقلال حق طبيعى للامم .

(ب) لان مصر لم تهمل قط امم المطالبة بهذا الاستقلال بل هى قد سفكت في سبيله دم أبنائها ولهذا كان ما أحازته من النصر في ميدان القتال كافياً لرد السيادة اليها لولا اجماع الدول العظمى فى سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٤١ واكراهها على تقليل مطامعها الى أدنى حد ممكن وجعلها تكتفى بالاستقلال الداخلى فقط وهو مع ذلك واسع النطاق يكاد يبلغ حد الاستقلال التام

(ج) لان مصر تعتبر نفسها الآن خالصة من آخر رباط كان يربطها بتركيا وهو رباط السيادة الاسمية اذ قد أصبحت تركيا بسبب نتائج الحرب لا تستطيع التمسك بهذه السيادة .

(د) لان مصر ترى ان الوقت قد حان لان يعلن استقلالها التام الذى يؤيده مركزها الجغرافي وأحوالها الجنسية والمادية والادبية .

(٢) تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية . وأن تراعى في تفاصيل النظام حالة البلاد الخصوصية من جهة ماللاجانب فيها من المصالح وأن تقوم بعمل اصلاحات اقتصادية وادارية واجتماعية لتستعين على تحقيقها بذوى العلم من أهل البلاد الغربية كما كانت تلك عاداتها فيما مضى

(٣) تعلن مصر أن امتيازات الاجانب فيها ستحترم بكل دقة واذا كان العمل أظهر أن بعضها يدعو الى تحوير أليق بمقتضيات الاحوال فانها تعرض مايعن لها من وجوه التعديل التي من شأنها المساعدة بين تقدم البلاد مع صيانة المصالح المنظور فيها وتكون فيما تعرضه من ذلك واسعة الصدر غاية فى الاخلاص والمجاملة

(٤) تتعهد مصر بالبحث في وضع طريقة للمراقبة المالية لا تقل في أهميتها بالنسبة للبلاد الاجنبية ذوات المصالح عما كان متبعاً قبل اتفاقية سنة ١٩٠٤ ويكون أهم قائم بها هو صندوق الدين العمومي .

(٥) تكون مصر مستعدة لقبول كل ماتراه الدول من الاحتياطات مفيداً للمحافظة على حياد قناة السويس .

(٦) تعتبر مصر نفسها حائزة لاكبر شرف بوضع استقلالها تحت ضمانة جمعية الامم وأن تشترك بهذه المثابة بقدر مالديها من الوسائل في تحقيق مبادئ العدل والحق على النمط الحديث .

هذه هي المطالب التي قدمها وفد سعادة سعد باشا زغلول الى سفراء الدول — قدمها هذا الوفد بعد ان حصل على توقيع الكثيرين بتوكيله في القضية المصرية ولو أنه عرض مبادئه هذه على الناس وتبينوها جيداً ما تقدم واحد الى توكيله ان طلب الاستقلال التام طلب جميل . طلب يسارع الجميع الى التصديق عليه والتصفيق لطلابه ونظم المديح لهم والدعاء لهم بالخير والنجاح . لذلك غطى ايراد هذا الطلب بين المطالب على جميع الاعتبارات التي تجعل الاستقلال التام في حكم المعدوم

وانا هنا نبدي بمنتهى الايجاز ماعن لنا من الملاحظات المبنية على الدرس والتنقيب وتحليل الالفاظ والمعاني كما هو الواجب على من يدخل في ميدان السياسة

(١) نرى أن لا ذكر للسودان بين هذه المطالب مع ان لا استقلال لمصر الا بوجود السودان في حيازتها

اذا بقي السودان في يد دولة غير مصر فقد استلمت هذه الدولة زمام مصر حتما باستيلائها على منابع النيل وتصرفها في مياهه بالمشروعات ومنع مصر من اتيان مايلزم من الاعمال في السودان لاصلاح مجرى النيل ومراقبة فيضانه فمن يملك السودان يملك النيل وفي ملكية النيل القضاء على مصر

فوق ذلك فان وجود السودان في يد دولة أخرى قضاء على تجارة مصر

فى أفريقيا والشرق الاقصى خصوصاً مع وجود ميناء بور سودان ـ كان هذا الاعتبار السبب فى حرص مصر من عهد الفراعنة الى اليوم على امتلاك السودان وهو السبب الذى حدا بالمرحوم شريف باشا الى الاستقالة من الوزارة المصرية لما أريد فصل السودان عن مصر وذلك ثابت من خطاب استقالته فلا استقلال اذاً بدون السودان

لا يمكن الرد بالقول (ان لفظ مصر يشمل السودان أيضاً) اذ أن حكومة مصر أخلت السودان بعد ثورة المهدى ثم عادت فاستردته وعقدت مع بريطانيا العظمى عقداً سنة ١٨٩٩ جعل السودان فعلا مستعمرة انجليزية

لذلك كان سكوت الوفد عن النص على السودان فى طلباته أمراً ملفتاً للنظر جداً

(٢) لم يطلب الوفد رفع الحماية عن مصر ـ نعم انه طلب الاستقلال التام ولكن المطلع على القانون الدولى يعلم أن الحماية قانوناً هى عبارة عن عقد تعقده دولة قوية مع دولة ضعيفة مستقلة استقلالا تاماً ويجيز هذا العقد للدولة القوية أن تحمى الدولة الضعيفة المستقلة استقلالا تاماً من الاعتداء عليها من الدول الاخرى كما يجيز لها حمايتها من فوضى النظام الداخلى وهذا يكفى بالطبع لجعل الاستقلال التام فى حكم العدم فلا يتنافر اذن وجود الاستقلال التام مع وجود الحماية قانوناً ويمكن مراجعة جميع كتب القانون الدولى فى هذا الموضوع

(٣) لم يطلب الوفد جلاء الانجليز عن مصر — الاحتلال حالة فعلية واقعية ليمكن أن تكون الدولة مستقلة استقلالا تاماً فى نظر القانون الدولى ومع ذلك تكون محتلة بدولة أجنبية

وان مصر أصدق مثل لهذا فهى من سنة ١٨٤٠ مستقلة استقلالا داخلياً تحت سيادة تركيا ومع ذلك فان الدولة الانجليزية تحتلها

(٤) يقول الوفد لان مصر تعتبر نفسها الآن خالصة من آخر رباط كان يربطها بتركيا نحن لا نرى حاجة للوفد فى ايراد هذه العبارة اللهم الا من وجهة واحدة. يقول الوفد فى الفقرة السابقة (ان الاستقلال الداخلى واسع النطاق يكاد يبلغ

حد الاستقلال التام) فاذا جاءت انجلترا الآن وقالت للوفد (حيث انك تسلم بأن الاستقلال الداخلى يفى برغبات مصر وحيث انك تعتبر أن سيادة الدولة العلية على مصر قد زالت نخذ الاستقلال الداخلى منى وأنا أحل محل تركيا) نريد أن يجيب الوفد على هذا السؤال

ان طلبنا ومرادنا لمصر هو الاستقلال التام بلا نزاع وهو طلب قاض بلا شك على علاقة تركيا بمصر ولكن هـذا الوضع من الوفد يريبنا ويجعلنا في حيرة فهل لحضرات أعضاء الوفد أن يزيلوا عنا هذه الحيرة

ولقـد عاودتنا الهواجس وتذكرنا الجملة التي كان الوفد وضعها في توكيله الاول وحذفها بعـد ذلك . وهذه الجملة هي وصفه الاستقلال (بأنه يكون تطبيقاً لمبادئ الحرية والعدل التي تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها والتي يكون بموجبها تحرير الشعوب الضعيفة

(ه) ليس من المسموح أن يكون ضمن مطالب الوفد بقاء الامتيازات الاجنبية لاعتبارات شتى

(أولا) ان في ايراد هذا الطلب اعترافاً ضمنيا بعـدم لياقتنا للنظر في مسائل الاجانب وعدم أهليتنا لاقامة العدل في شؤونهم وهذا مطعن وجيه في طلبنا الاستقلال التام

(ثانياً) ان الامتيازات الاجنبيـة موجودة في بلاد أخرى غير مصر — يهم فرنسا — ويهم ايطاليا — ويهم تركيـا — ويهـم غيرهم في الشرق الغاء الامتيازات في بلادها والبلاد التي تحكها — لذلك كان من حسن السياسـة أن يسكت الوفد عن الـكلام في الامتيازات لتستفيد مصر من احتمال الغائها في البلاد الاخرى — وحاصل كلامنا أن واجب الوفد في هذه المسألة أن لا ينساها فيهتم بدرسها وأن لا يذكرها ضمن طلباته. يجب عليه أن يدرسها وتكون طلباته الاصلية الغاؤها ويبين موجبات الغائها ويضم صوته الى الدول التي تطلب الغاءها فاذا تشبثت الاجانب بها سلم رويداً رويداً حتى يصل الى أقل حد ممكن — انه

الوفد أمام محكمة دولية كبرى لم يسبق في التاريخ لها مثيل وأمام مبادئ جديدةرفعت الانسانية درجات عالية جداً فعلى أعضائه أن يقفوا أمام هذه المحكمة وقوف المحامى الواثق من عدل محكمته لا وقوف الخائف المستجدى

(٦) أما مسألة المراقبة المالية بسبب الديون المصرية فقولنا فيها ماقلناه في الامتيازات وان مركز مصر الاقتصادى صار الآن بحيث لايخشى على اموال الاجانب فيها وقد صارت مصر بعد الحرب نسبة الى غيرها من الدول أقل ديناً منهم بكثير اذ ارتطمت الدول بالديون بسبب ويلات الحرب فى حين أن مصر زادت ثروة فيجب اذن مراعاة هذا الاعتبار — فوق ذلك فان دولا كثيرة لامحل لذكرها هنا متأخرة من مدة عن سداد ديونها ومع ذلك لم يفكر دائنوها في الاستيلاء على ماليتها — ان استعباد الدول لمدينيها يشبه في الزمن القديم استعباد الدائن لمدينه ذلك الاستعباد الذى قضي عليه التمدين فواجب الوفد هنا واجبه في أمر الامتيازات كما قررنا

هذا هو رأينا في طلبات وفد سعادة سعد باشا. وعلى ذلك نرجو منه الالتفات اليه وتصحيح برنامجه كما نطلب من كل الذين شرفوا الوفدبتوكيلهم له أن يناقشوا الوفد بالحسني في هذه المسائل والا كان خطؤهم كبيراً أمامالبلاد وأمام التاريخ وأمام ضمائرهم .

هذا ولايفوتنا أن نرجو الوفود الاخرى بيان براجمهاوأن لاتستبدبرأيها في مسألة تهم الامة ؟

***

وهاك نص النشرة الثانية التي أذاعها الحزب الوطني عقب حصوله على نص الحديث الذي جرى بين السير ونجت للمعتمد البريطاني بمصر وبين سعد باشا وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك بتاريخ ١٣ نوفمبر سنه ١٩١٨

وفد سعد باشا ايضا

بينا فى نشرة سابقة ان الطلبات التي قدمها وفد سعد باشا الى قناصل الدول فى مصر لاتطابق توكيل الذين وكلوه أو هى تخالف روح هذا التوكيل ومقتضاه . ذلك لان هذه الطلبات أهملت السودان اهمالا تاماً . وسكتت عن الاحتلال والحماية سكوتاً مطلقاً . ولانها من جهة أخرى تمدت دائرة التوكيل بطلب بقاء الامتيازات والرقابة المالية

وقد رد هذا الوفد على نشرتنا بخطبة ألقاها سعد باشا بين أفراد اختارهم لسماعه ودعاهم لتناول الشاى . ثم نشر الخطبة على الناس

واني قبل أن أبدى ملاحظاتى على هذا الرد أبدأ فأهنئ الرأى المصرى العام على اخضاع سعد باشا ـ لقد أذعن الرجل وخفف من غلوائه كثيراً وعلم الآن أن رجلا واحداً والذين معه لايستطيعون أن يكرهوا أمة حية على الثقة بهم ثقة عمياء خرساء صماء وعلى الانقياد اليهم بدون مناقشة

ونحن لانعيب على سعد باشا ماجهل من قوة الرأى العام فى مصر لانه لم يبتل به قبل الآن وقد كان أبعد الناس عن التصديق بوجوده والا ما كان يجترئ على تكوين وفده فى الخفاء ثم يأتى فيطلب من الناس التوقيع على توكيل هذا الوفد بدون أن يقبل أية مناقشة فى الوكلاء ولا فى المأمورية . أستغفر الله بل بدون أن يسمح بقراءة التوكيل لمن عرضت عليه ورقته للتوقيع

ان سعد باشا والذين معه متمسكون بأن يبقوا وفداً لذلك فنحن نعتقد انهم قد يضحون مبدأهم الاصلى وهو « الاستقلال التام طبقاً لمبادئ الحرية والعدل التي تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى وحلفاؤها الفخام والتي يكون

بموجبها تحرير الشعوب الضعيفة »

نعتقد انهم قد يضحون مبدأهم هذا في سبيل بقائهم وفداً — ولا سبيل لبقائهم وفداً الا اذا طابقوا الرأى العام

ومن أجل اعتقادنا بامكان هذه التضحية فنحن نعمل دائماً لا على تشتيت شمل الوفد ولكن على تقريبه من غاية الامة وتوجيه مجهوده الى فائدتها وتغيير مبدئه وتصحيح طلباته حتى يتفق تماماً وصالح الوطن — واذا كانت المقدمات تدل على النتائج فاني واثق من النجاح لان هذا الوفد ابتدأ يشعر بواجبه

فبالامس أكرهنا سعد باشا بقوة الرأى العام على حذف الجملة الشهيرة من التوكيل الإصلي وهي جملة « طبقاً لمبادئ .... الخ »

ويعلم الله كم عانينا في سبيل الوصول الى تغيير معنى هذا التوكيل وصيغته المنزلة واليوم ألجأناه كما ترى في الخطبة الى الاعتراف بحق الامة المصرية على السودان وضرورته لحياتها والى الاعتراف بأن الجلاء واجب وبأن الحماية لا نوافق عليها

فلنسارع الى تسجيل هذه الاعترافات : —

(١) نسجل على الوفد اعترافه بأن السودان ألزم لمصر من الاسكندرية

(٢) ونسجل عليه اعترافه بضرورة الجلاء

(٣) ونسجل عليه اعترافه بعدم موافقة الامة على الحماية

ونسجل عليه من جهة أخرى اعترافه ضمناً بأن كل ذلك يقتضيه التوكيل الصادر له من موكليه ويكون الوفد خارجاً عن حدود التوكيل اذا هو أهمل السودان أو سكت عن الاحتلال والحماية ويبطل التوكيل ولا يصح لوفد سعد باشا التمسك به

***

لا نريد أن نناقش سعد باشا في الحجج الواهنة التي أوردها في خطبته تبريراً لسكوته عن السودان والاحتلال والحماية فهو حر في اختيار الطريقة التي تؤدى به الى تصحيح طلباته ونحن لا يهمنا الا أن نصل الى هذا التصحيح

وانما نريد أن نقول ان الاعتراف حصل ولكن الطلبات لم تصحح

لقد اعترفت ولكن أين ؟ في حفلة شاى خاصة : فأنت اذن لم توصل هذا التصحيح الى الدول

بالامس قدمت الى القناصل طلبات موكليك وهى قاصرة عن أن تؤدى الى غايتهم من التوكيل — فالى هؤلاء القناصل . الى السلطة المختصة . الى محكمة الدول . يجب أن يحصل التصحيح

انك اذا وقفت عند خطابتك في حفلة الشاى ولم تقدم الطلبات الجديدة الى القناصل تكون كالمحامى الذى طلب طلبات ناقصة أمام المحكمة فلما اعترض الموكل عليه خارج المحكمة أخذ يفسر له الطلبات تفسيراً لا يسعه اللفظ ليظفر منه بالسكوت — أما المحكمة التى لا تسمع صوتك من الخارج فامامها طلبات محدودة لا تنظر في غيرها

سيدى الباشا المحترم — المسألة مسألة الامة . مسألة الوطن العزيز . مسألة أبنائنا وأحفادنا . مسألة أجدادنا وآبائنا — فناشدتك الله الا ماسمعت هذا النداء الصادق ودست على كل اعتبار آخر — صحح الطلبات لدى قناصل الدول فان الدول تعرف ان لمصر حدوداً خاصة وللسودان حدوداً خاصة وتعرف ان مصر غير السودان . تعرف ان حكومة مصر قررت ترك السودان في سنة ١٨٨٤ وقصرت حدود مصر عن الحدود الاصلية — تعرف ان انكلترا عقدت مع مصر عقداً على السودان في سنة ١٨٩٩ وتعرف ان بعض السياسيين كالمسيو فريسينيه وزير خارجية فرنسا سابقاً ألفوا الكتب على مصر ورأوا حل المسألة المصرية بترك مصر للمصريين والسودان للانكليز — يعرف الدول كل ذلك ويدرسون لابنائهم في المدارس ان حدود مصر تنتهى عند الجنوب الى حدود السودان — فما ضرك ياسعد باشا أن تذكر السودان ضمن طلباتك وتصحح الطلبات التي قدمتها للقناصل . ثم ومسألة الجلاء — لقد بينت لك في النشرة ان الجلاء حالة فعلية والاستقلال التام مسألة حق — والحق الثابت يؤذيه

الشيءُ الواقع وان كان الواقع على غير أساس

لقدمكثنا فوق الخمسة والثلاثين عاماً ولناحق الاستقلال الداخلي ولتركيا حق السيادة الخارجيــة والدول تعترف كلها بهذه الحقوق ولـكن مع ذلك فالاحتلال غير المشروع موجود وحقوقنا تداس بالاقدام

لقــد كنت محامياً ثم كنت مستشاراً ورأيت أن حق الملـكية على العين والانتفاع بها قد يكون موجوداً ولـكنه معطل بفعل يد غاصبة

فاطلب الجلاء بصراحة. كما يطلب مالك العين رفع اليد الغاصبة عنها أمام القضاء

وبعد . ومسألة الحماية لقد بينا لك ماهي في نشرتنا وان السكوت عنهـا قد يفسر بالرضا بها وبقبولها . فلماذا السكوت وأنت تعلم أن الحماية عقد بين دولة مستقلة استـقلالا تاماً وبين دولة أخرى أقوى منها . وان القبول من جانب مصر قد يؤخذ من سكوتها عنها وعدم الاعتراض على رفعها في الطلبات

الورق كثير والحبر كثـير وان أعوزك شيءٌ من ذلك فدونك جلودنا ودماءنا خذ منها ماشئت واكتب كل شيءٌ لمصلحة الوطن

لقد كنت صريحاً سحباناً في دفاعك عن مصلحة الاجانب وطلب الامتيازات لهم وقبول المراقبة الماليــة فلم لاتكون كذلك في التعبير عن حقوق مصر ؟

انك غامض في كل تعبير عن حقوق مصر حتى في تلغرافك الذى أرسلته عقب حفلة الشاى الى الرئيس ولمن . الذى قلت فيه « نعرض قضية مصر التي يتسلط عليها الاجنبي تسلطاً يأباه أهلها أجمعون ـ ماهــذا الابهام ! ! لماذا لاتحذو حذو الوفد الآخر ! وتبسط كل الطلبات في تلغرافك وتحددها تحديداً صريحاً كاملا لا يترك محلا للشك والريب

أما الامتيازات والمراقبة المالية ـ فان ردك فيها فاضح جدا وانك بطلبها تنافى توكيل موكليك ولا تنطق بلسانهم

لقد مدحت كثيرا في نظام الامتيازات ! فرحى ياسعد باشا ـ لم يقــل أحد قبلك مثل ما قلت عنها

تقول ان هذه (مرغبات لجلب الاجانب) !! فهل نبيع حريتنا وشرفنا واستقلالنا استجلاباً للاجانب في بلادنا !! وتقول ان حالتنا الاجتماعية الخاصة مانع شديد من مخالطة الاجانب ... فلابد للاجنبي من أداة تحبب له الاقامة فينا فهل أخلاقنا منحطة ـ هل آدابنا ناقصة ـ هل بنفسنا طائفة الشر ـ ما هي هذه الحالة الاجتماعية التي تمنع الاجانب الاختلاط بنا والتي تشير اليها بهذا الغموض

ثم وقد سميت الامتيازات حقوقاً ـ ألا تعلم ياسيدى ان الحق هو سيادة الامة على جميع بلادها وعلى من يقطنون فى هذه البلاد بدون نظر الى اعتبارات جنسية ـ وأما غير الحق فهو عدم تمشى هذه السيادة على طائفة من الذين يقيمون فى هذه البلاد

شهد التاريخ وشهدت الحوادث اليومية ان هذه الامتيازات تعطل سير القانون والعدالة فى مصر وتستخدمها الطبقة المنحطة من الاجانب لايذاء المطمئنين من المصريين حتى أصبح الكبير منا ترتعد فرائصه أمام أحقر أجنبي اذا غضب عليه فبقاء الامتيازات ياسعد باشا معطل للمصلحة العامة ماس بالكرامة الوطنية

أما الرقابة المالية فقد تكلمنا عليها ولم ترد على ما قلناه فى النشرة بكلمة مقنعة نخير لوفد سعد باشا أن يحذف من طلباته كل ما يتعلق بالامتيازات وبالرقابة المالية

ليس عاراً أن يرجع الانسان الى الحق وان كان سعد باشا وانما العار أن يصر الرجل على الخطأ لاسيا فى قضية الوطن

***

فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ قابل وفد سعد باشا زغلول السير ونجت وقد اطلعنا على صورة محضر جلسة من جلسات وفد سعد باشا مبين فيها تفصيلات هذا الحديث

الحق يقال ان الحديث فى أوله شيق جميل ولكن فى آخره السم الزعاف
كانت المناقشة دائرة حول طلب الاستقلال التام فقال جناب السير ونجت للوفد :

« ان مركز مصر حربياً وجغرافياً يجعلها عرضة لاستيلاء كل دولة قوية عليها وقد تكون غير انكلترا »

فقال سعد باشا « نحن متى ساعدتنا انكلترا على استقلالنا التام فاننا نعطيها ضمانة معقولة على عدم تمكين أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة انكلترا ونعطيها ضمانة فى طريقها للهند وهو قنال السويس بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلاله عند الاقتضاء بل ونحالفها على غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود »

ثم قال شعراوى باشا « يبقى أمر آخر خارج عن هذا المعنى وهو حقوق أرباب الديون من الاجانب فيمكن بقاء المستشار المالى الانكليزى بحيث تكون سلطته هى سلطة صندوق الدين العمومى »

فقال سعد باشا « نحن نعترف الآن أن انكلترا هى أقوى دولة في العالم وأوسعها حرية واننا نعترف لها بالاعمال الجليلة التي باشرتها في مصر ونطلب باسم هذه المبادئ التي نصرتها الآن أن تجعلنا أصدقاءها وحلفاءها صداقة الحر للحر واننا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك مشخصاً لهذه الدولة العظيمة وعند الاقتضاء نسافر للتكلم في شأنها مع ولاة الامور في انكلترا ولا نلتجئ هنا لسواك ولا في الخارج لغير رجال الدولة الانكليزية ونطلب منك بصفتك عارفاً لمصر مطلعاً على أحوالها أن تساعدنا على الحصول على هذه المطالب »

هذا هو الحديث الذى دار بين وفد سعد باشا وبين جناب السير ونجت وهو منقول بالحرف وبالترتيب من محضر جلسة الوفد

فهل لسعادة سعد باشا ان يفسره لنا — لقد كنت أجهل وغيرى لا يزال

يجهل تفصيلات هـذا الحديث — أما الآن فقد عرفناه فليذهب الوفد الى جناب السير ونجت ويعترف انه ما كان في كلامه يعبر عن رأى الامـة — ليسحب الوفد هذا أيضاً

ايها الموكلون لسعد باشا ولوفده

انكم ترون هذا الحديث — لجناب السير ونجت يقول ان مصر لا تستطيع أن تدافع عن نفسها وانها عرضة لاستيلاء الدول الاخرى عليها

فالوفد وكيلكم رد على السير ونجت بأن مصر بعد حصولها على الاستقلال التام تحالف انكلترا وتعطيها الضمانة المعقولة على عدم تمكين الاجانب من مصر .. وتعطيها الحق في احتلال قنال السويس عند الاقتضاء وتقدم لها الجنود وتحل للمستشار المالى محل صندوق الدين

فياحضرات الموكلين — هذه هى الحماية بعينها

فوفد سـعد باشا يطلب اذن الاستقلال التام ليكون لمصر صفة التعاقد على مثل هذه الشروط التي هى شروط الحماية . ولعله يتكلم كثيراً على زوال سيادة تركيا لهذه الغاية

فالحماية عقد تعقده دولة مستقلة استقلالا تاماً لا تستطيع حماية نفسها مع دولة أخرى قوية لتحميها من عدوان الاجانب

فمصر الضعيفة كما يقول جناب السير ونجت تحالف انكلترا القوية لتحميها

أما الضمانة المعقولة فلا أدرى ماهي ! ! وانما هى تحتاج بالطبع الى ابقاء قوى انكليزية في مصر

وأما الجنود الذين يتبرع سعد باشا بأرواحهم في سبيل هذه المحالفة فهى المساعدة العسكرية التي تجب على المتبوع للتابع

أما المستشار المالى واحلاله محل صـندوق الدين فيكفى وحـده لتعطيل استقلال مصر حتى ولو لم يكن لانكلترا غير ذلك الامتياز

أما قنال السويس فاحتلاله احتلال لمصر — ولـكن من حسن الحظ فان

الوفد لا يملك حق التصرف فيه

يظهر ان الوفد يجهل الكثير من المسائل الدولية — الا ان الوعد بتقديم جنود ينافي الروح السائدة الآن في العالم من وجوب تثبيت قواعد السلام العام للمستقبل كما ان هبة قنال السويس تصرف لايملكه الوفد

الا ان سعد باشا يحتقر دائماً قنال السويس فان دفاع سعد باشا عن مشروع تمديد امتيازه أيام كان ناظراً خلافاً لاجماع الامة لايزال يرن في آذاننا — وهاهو يذكرنا بهذا الموقف التاريخي بتبرعه به الآن عن طيب خاطر

لقد أذكرني جهل الوفد بالمسائل السياسية اليوم الذي ذهب البعض الى حضرة عبد العزيز بك فهمي وناقشه في جملة « طبقاً لمبادئ . . . الخ » فأقسم لهم انه وهو يكتب صيغة التوكيل كان يعتقد أن لفظ الحلفاء يشمل أمريكا

وليعلم الذين تبهر أبصارهم ألقاب أعضاء الوفد انى ان صغرت هذا الوفد في معارفه السياسية فذلك لانه صغير فيها حقيقة

وأما كون الوفد لايلجأ هنا الا لجناب السير ونجت(١)—وأن لايلجأ في الخارج الا لانكلترا — فهذا طريق الوصول الى الاتفاق على الحماية والى تقرير المخالفة التي بين الوفد قواعد شروطها في الحديث

أيها الموكلون . هذا وكيلكم وهذه آراؤه . وان مسؤوليتكم لكبيرة أمام العالم وأمام أعقابكم وأمام الله . فقوموا اعوجاجه بالحسنى والا فاسحبوا منه ثقتكم

لى كلمة أخيرة . يقول سعد باشا في خطبته انى لست مصرياً — كلا — انى مصرى صميم . ولم أسئ قط الى بلادى ولم أفضل بخدمتها شيئاً آخر مهما عظم . ولماذا يكون كاتب النشرة غير مصرى ؟ ألأنها تحرضك على طلب السودان والجلاء وبطلان الحماية وتعترض على طلبك الامتيازات والمراقبة المالية ؟ وهذا في اعتقادك لايوافق عليه المصريون . أم لأن كاتبها يبحث وراءك وأنت ذلك الوطني الأمين صاحب الماضي الوطني العظيم المملوء بالخدمات للبلاد انما يريد سعد باشا أن يسبني

---

(١) وفوق ذلك فانه تنازل عن دولية القضية المصرية وجعلها مسألة انجليزية بحتة

ألا فليعلم سعد باشا اني لو تعرضت لمثل ذلك لوجدت كلاماً كثيراً . كلاماً حقاً عليه وعلى رجال وفده . فأنت القائل ان اللغة العربية التي وسعت مدنية العرب لاتصلح لغة للتعليم تمشياً مع السياسة الانكليزية . وأنت القائل ان قضاتنا ومحامينا غير أكفاء وانهم قضاة ضرورة ومحامو ضرورة ارضاء للسياسة الانكليزية . وفي عهدك سنت جميع القوانين المقيدة لحرية الصحافة ولحرية الاجتماع وللحرية الشخصية . ومن بين أعضاء وفدك لطفي بك السيد القائل في جريدة الجريدة « ناقل الكفر ليس بكافر » تعليقاً على أكبر خطبة وطنية ألقاها مصطفى كامل باشا

ومن بين أعضاء وفدك رجال حزب الامة الذى أنشأه اللورد كرومر

هل تريد المزيد ؟ ان في استطاعتي أن أكتب تاريخكم الوطني جميعاً في أقل من أسبوع وأنشره على الناس . فهل تريدون نشره ؟